بحوث في آداب الإسلام- البحث الثاني

الغِيبة والنمِيمة

من آفات اللسان، وقوادِح الإيمان

د. الصغير بن عمار

-حفظه الله-

الغيبة والنميمة: من آفات اللسان، وقوادح الإيمان[1]

الغِيبة: أكلٌ للَحم الأموات، وإحباطٌ للحسَنات 2

تعريف الغِيبة وأدلَّة تحريمها 2

مفاسد الغِيبة في الدُّنيا والدِّين 4

دوافِعُ الغِيبة 6

ما يُباح مِن الغِيبة 7

الفَرقُ بين النصيحة والغِيبة 10

النَّميمة: حالِقَةُ الدِّين، ومُفرِّقةُ المؤمنين 11

تعريف النَّميمة وأدلَّة تحريمها 11

أوَّلُ مَن ينقَمُ علىٰ النمَّام: صاحبُه الذي نقلَها إليه 13

1- هذا البحث مستلٌّ مِن كتابٍ لي في «الآداب»، يسَّر اللهُ إتمامَه بفضله ومنِّه.

وكنت قد استلَلتُ منه بحثًا بعنوان: «**الدعاء: حقيقته، شرفه، شروطه، وأحوال الناس فيه**»، وهو منشور علىٰ الشبكة: https://attafreegh.com/read/4000-1702146104

الغِيبة: أكلٌ للَحم الأموات، وإحباطٌ للحسَنات

تعريف الغِيبة وأدلَّة تحريمها

الغِيبة: ذِكْرُ أحَدٍ غائبٍ بما لا يُحِبُّ أنْ يُذْكَرَ به، وأمَّا إذا كان ذِكر عَيْبِه أمامه، فهو شَتْمٌ، وإذا كان بغير ما فيه فهو بُهتان.[2]

وبهذا عرَّفَها النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**الغِيبَةُ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**». رواه مسلم (2589). والمعنىٰ: ذِكرُه بما فيه مِن العَيب وهو غير حاضِر.

ومع أنَّ هذه العُيوبَ واقعةٌ في صاحبِها إلَّا أنَّ اللهَ حرَّم ذكرَها حِفَاظًا علىٰ عِرْضِ الـمُؤمِن، وتأكيدًا لعَظيمِ حُرمَتِه، وأهمِّيَّة حُقوقه وعُلُوِّ منزِلتِه، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[الهمزة: ١]، قال مُجاهِد: «هو الطَّعَّانُ، الذي يأكلُ لُحومَ النَّاس».[3]

وزاد اللهُ تعالىٰ ذلك تأكيدًا وتحقيقًا لهذا بتشبيه عِرضِ المؤمن بلَحمِه ودَمِه، فقال -عزَّ قائلًا-: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[الحجرات: ١٢]، ووجهُ التشبيه أنَّ **الإنسانَ يتألَّم قلبُه مِن قَرْضِ عِرضِه، كما يتألَّم بدَنُه مِن قَطْع لحمِه لأكْلِه؛ بل أَبْلَغُ، لأنَّ عِرضَ العاقِل عنده أشرَفُ مِن لحمِه ودَمِه.**

قال الزجَّاج رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذِكرُك بسُوءٍ مَن لم يـحْضُر لك بمَنزِلة أكلِ لحمِه وهو مَيِّت لا يُحِسُّ هُوَ بذلك».[4]

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي هذا مِن التَّنفِيرِ عن الغِيبة والتوبيخِ لها والتوبيخِ لفاعلها والتشنِيعِ عليه ما لا يَخفىٰ، **فإنَّ لحمَ الإنسان ممَّا تَنْفُرُ عن أكلِه الطِّباع الإنسانية، وتستكْرِهُه الجِبِلَّةُ البَشَرية، فضلًا عن كونه محرَّمًا شرعًا**».[5]

2- انظر «النهاية» (3/ 399)، و«المصباح المنير» (2/ 457).

3- رواه الطبري في «التفسير» (24/ 596).

4- «معاني القرآن» (5/ 37).

5- «فتح القدير» (5/ 77).

قلت: وفي قوله: ﴿لَحَمَ أَخِيهِ﴾ مَزِيدُ استبشاعٍ لهذا الأمر، إذ إنَّ فِعل ذلك بالأخ أعظَمُ شناعةً، وأشَدُّ جُرمًا.[6]

وكان عمرُ بنُ الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول : «**لا يُعْجِبَنَّكُمْ مِنَ الرَّجُلِ طَنْطَـنَـتُهُ** (أي: كثرةُ كلامِه)، **ولكِنَّهُ مَنْ أدَّىٰ الأمَانَةَ، وكَفَّ عَنْ أعْراضِ النَّاسِ فهُوَ الرَّجُلُ**».[7]

وقال بكر بنُ عبدِالله الـمُزَنِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «**إذا رأيتُم الرَّجُلَ مُوَلَعًا بعُيُوب النَّاس، ناسِيًا لعَيْبِه، فاعلَمُوا أنَّه قد مُكِرَ به**».[8]

إذا رُمــتَ أنْ تَحيــا سَليمًــا مِــن الأذَىٰ ... ودينُــكَ مَوفــورٌ وعِرْضُــكَ صَــيِّنُ

لِســانُكَ لا تَــذكُرْ بِــهِ عَــورَةَ امــرِئٍ ... فكُلُّــكَ عَــوراتٌ وللنَّــاسِ ألسُــنُ

وقيل لبعضهم: إنَّا لنَرحَمُك ممَّا يقول النَّاسُ فيك، فقال: «فما تسمعوني أقول فيهم»؟ قالوا: ما سمعناك تقول إلَّا خيرًا، قال: «**إيَّاهم فارحَمُوا**».[9]

يقول القحطاني رَحِمَهُٱللَّهُ في «نونيته» (ص 44):

لا تُشْــغَلَنَّ بعَيْــبِ غَيــرِكَ غــافِلًا ... عَــنْ عَيْــبِ نَفْسِــكَ إنَّــهُ عَيْبــانِ

قال إبراهيم بن أدهَم رَحِمَهُٱللَّهُ: «**يا أهلَ البَصْرَةِ ماتَت قُلُوبُكُم في عَشَرَةِ أشياءَ**»، ثم ذكر منها: «**اشْتَغَلْتُمْ بِعُيُوبِ إِخْوَانِكُمْ وَنَبَذْتُمْ عُيُوبَكُمْ**».[10]

وقال ذو النُّون المصري رَحِمَهُٱللَّهُ -مُوصِيًا أحدَ أصحابه-: «**لا يشْغَلَنَّك عُيوبُ النَّاس عن عَيْبِ نَفْسِك، لستَ عليهم برَقِيب**».[11]

6- انظر «الزواجر عن اقتراف الكبائر» للهيتمي (2/ 10).

7- رواه ابن المبارك في «الزهد» (695).

8- رواه ابنُ أبي الدنيا في «ذم الغِيبة والنَّميمة» (62).

9- انظر «بهجة المجالس» (1/ 400).

10- انظر «صفة الصفوة» (2/ 445).

11- «حلية الأولياء» (8/ 15).

مفاسد الغِيبة في الدُّنيا والدِّين

يقول الإمامُ الباجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ موصِيًا ولدَيه[12]: «وإيَّاكُما والغِيبةَ، فإنَّها:

- تُـحْبِطُ الـحسَنات،
- وتُـكثِرُ السيِّئات،
- وتُبْعِدُ مِن الـخالِق،
- وتُبَغِّضُ إلىٰ الـمَخلوق».

ويُزادُ علىٰ ذلك أنَّ الغِيبـةَ:[13]

- تُضْعِفُ أُخُوَّةَ الإسلام.
- وقد تَبلُغُ الذي اغتِيبَ فتقْدَحُ في نفسِه عَداوَةً لـمَن اغتابَهُ، فيَنْثَلِمُ بِناءُ الأُخُوَّة.
- وفيها الاشتغالُ بأحوال النَّاس، وذلك يُلْهِي الإنسانَ عن الاشتغالِ بالـمُهِمِّ النَّافعِ له.

قلتُ -الصغير بن عمار-: **ومَن تأمَّل كلامَ مَن سلَف وجدَه مصدِّقًا لهذا، شاهِدًا بخَطَر الغِيبة، مُبْرِزًا لما فيها مِن أضرار علىٰ الفَرد (في دينه ودنياه) والمجتمع (في قِيَمِه ومبناه).**

قال الفُضَيْلُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إذَا ظَهَرَتِ الغِيبةُ ارْتَفَعَتِ الأُخُوَّةُ في الله**».[14]

وعن وَهْبِ بنِ منَبِّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه قال: «**مَن أَكْثَرَ الغِيبةَ والبَغْضاءَ لم يُوثَقْ منه بالنَّصِيحَةِ**».[15]

وقال الثَّوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**لا تَحْسِدَنَّ ولا تَغْتابَنَّ فتَذهَبَ حَسَناتُكَ**، وقد كان بَعْضُ الفُقَهَاءِ يَتَوَضَّأُ مِن الغِيبَة كما يَتَوَضَّأُ مِن الـحَدَثِ».[16]

12- «النصيحة الولدية» (ص 22).

13- انظر «التحرير والتنوير» (26/ 256).

14- «الحلية» (6/ 96).

15- «الحلية» (4/ 63).

16- «الحلية» (7/ 35).

وقال كعبُ الأحبار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الغِيبَـةُ تُحْبِطُ العَمَلَ**».[17]

وأحسَنَ الشاعرُ في وَصفِ حالِ الـمُغتاب لـمَّا قال:

يُشَـــارِكُكَ الـــمُغتابُ في حَسَـــناتِهِ ويُعطِيـــكَ أَجْـــرَيْ صَـــوْمِهِ وصَـــلاتِهِ

فيَـا أيُّهـا الـــمُغْتَابُ زِدْنِـي فـإنْ بَقِـي ثَـــوابُ صَـــلاةٍ أو زَكـــاةٍ فَهَاتِـــهِ

وكان ابنُ وَهْبٍ يقول: «نذَرتُ أنِّي كُلَّمَا اغْتَبْتُ إنسانًا أنْ أَصُوْمَ يَومًا، فأَجْهَدَنِي، فكُنْتُ أَغْتَابُ وأصُوْمُ، فنَوَيْتُ أنِّي كُلَـمَّا اغْتَبتُ إنسانًا أنْ أتَصَدَّقَ بدِرْهَمٍ، **فَمِنْ حُبِّ الدَّرَاهِمِ تَـرَكتُ الغِيبَةَ**».[18]

وروي أنَّ الـمَسيحَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: «**لا يحْزُنْكَ قولُ النَّاس فيك، فإنْ كان كذِبًا كانت حسَنةً لم تعمَلْها، وإنْ كان صِدْقًا كانت سَيِّـئَةً عُجِّلَت عُقوبتُها**».[19]

17- «ذمُّ الغِيبة» لابن أبي الدنيا (51).

18- «سير أعلام النبلاء» (9/ 228).

19- «بهجة المجالس» (1/ 405).

دوافِعُ الغِيبة

وأمَّا عن دوافعها، فهي كثيرةٌ:

- **منها:** قلَّةُ الخوف مِن الله، والجُرأةُ علىٰ حُدوده.
- **ومنها:** موافقة الأقران، ومجاملة الرُّفَقاء، والخَوضُ مع الخائضين، والله يقول: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ﴾[القصص: ٥٥]، ويقول سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنعام: ٦٨].

قال الحافظ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رياض الصالحين» (ص 424): «باب تحريم سماع الغيبة، وأَمْرِ مَن سَمِعَ غِيبةً مُحرَّمةً بردِّها والإنكارِ علىٰ قائلها، فإنْ عَجِز أو لَمْ يُقْبَل منه فارَقَ ذلك المَجْلِسَ إنْ أَمْكَنَهُ».

- **ومنها:** اللَّعِبُ والـهَزْلُ، فترىٰ الـمُغتابَ يَذكُر غيرَه بما يُضحِك النَّاسَ منه، ورُبَّما كان هذا مِهْنَةً لبعضهم، فبئسَ الكَسْبُ كسبُه.
- **ومنها:** الحسَد، وقد تقدَّم الكلام علىٰ هذه الآفَة.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واللهِ لقد تجاوز الناسُ الـحَدَّ في الغِيبة والذم، فلم يَـقنَعُوا بذَمِّ العامة دون الخاصة، ولا بذَمِّ الـجُهَّال دون العلماء، وهذا كُلُّه يحمِلُ عليه الجهلُ والـحسَدُ».[20]

- **ومنها:** وَلَعُ النَّفس برُؤية ما يسُوء، فبعضُ الناس مُبصِرون، ولكنَّهم عن رؤية الخَير عُميان، والـمُغتابُ كالذُّباب، لا يَسْقُط إلَّا علىٰ الـخَبث.

وعن مالِكِ بنِ دِينارٍ، قال: «مَرَّ عِيسَىٰ ابنُ مَرْيَمَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مع الـحَوَارِيِّينَ علىٰ جِيفَةِ كَلْبٍ فقال الـحَوَارِيُّونَ: مَا أَنْتَنَ رِيحَ هذا، فقال عِيسَىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: «**ما أَشَدَّ بَيَاضَ أَسْنَانِهِ**»، يَعِظُهُمْ ويَنْهَاهُمْ عن الغِيبَةِ.[21]

20- «الجامع في بيان العلم وفضله» (2/ 113).

21- «ذم الغِيبة» (159)، و«حلية الأولياء» (2/ 382).

قال الشاعرُ:[22]

إنْ يسـمَعُوا رِيبَـةً طـارُوا بهـا فرَحًـا ... مِنِّـي، ومـا سَـمِعُوا مِـن صـالِحٍ دَفَنُـوا

صُـمٌّ إذا سَـمِعُوا خَيـرًا ذُكِـرتُ بـه ... وإنْ ذُكِـرتُ بسُـوءٍ عنـدهُمْ أَذِنُـوا[23]

وقال آخَرُ:[24]

إنْ يعلَمُـوا الـخَيرَ أَخفَـوْهُ، وإنْ عَلِمُـوا ... شَـرًّا أذاعُـوا، وإنْ لـم يعلَمُـوا كَـذَبُوا

- **ومنها**: إرادَةُ الـمُغتابِ رَفْعَ نفسِه، وذلك باستنقاصِ غيرِه، وهذا مِن سوء السِّيرَة، وخُبث السَّرِيرَة، فتَراهُ يقول: «فلانٌ جاهِل، وفَهْمُه رَكِيكٌ، ودينُه ضعيف، وعقلُه خفيف»، وغَرَضُه إثباتُ عَكْسِ ذلك عنده، فلسانُ حالِه يقول: «كلُّ رَذِيلَةٍ عنده تُقابِلُها فضيلةٌ عندي».

وخفايا النَّفس عَجِيبَة، والفَقِيهُ مَن تفَطَّن لها، واستعان بالله في عِلاجها.

يقول ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الكافية الشافية» (ص 20):

واحـذَرْ كَمـائنَ نَفْسِـكَ الـلَّاتي متـىٰ ... خَرَجـتْ عليـكَ كُسِـرْتَ كَسْـرَ مُهـانِ

وإذا انتصَـرْتَ لهـا فأنـتَ كمَـنْ بَغَـىٰ ... طَفْـيَ الـدُّخَانِ بمَوْقِـدِ النِّيـرانِ

- **ومنها**: إرادَةُ التَّصَنُّع والـمُباهاة والـمَعرِفة بأحوالِ النَّاس، ورُبَّما ساقَها المُغتاب في صورةٍ تُوهِمُ بأنَّه مِن أهلِ الفِراسة، وهذه لا تنطَلي علىٰ أهلِ الكِياسَة.[25]

ما يُباح مِن الغِيبة

اعلَم -سدَّد اللهُ خُطاك- أنَّه بالرَّغمِ مِن بَشاعَةِ الغِيبَة، فإنَّ الشَّرعَ استثنَىٰ مِنها صُوَرًا، رَجَحت مَصلَحَتُها علىٰ مَفسدَةِ ذِكر الآخَرِ بَما يَكرَهُ.

وهذه الصُّوَرُ فصَّلها أهلُ العِلم ودَلَّلُوا عليها، وذكرها جماعة، منهم:

22- انظر «روضة العقلاء» (ص 173).

23- أي: استمَعُوا.

24- انظر «الـمستطرَف مِن كلِّ فنٍّ مستظرَف» (ص 97).

25- انظر «مـختصر منهاج القاصدين» (ص 171-172).

- ابنُ أبي الدنيا في «الصَّمت» (ص 140-146)، و«ذم الغِيبة والنَّمِيمة» تحت: «باب الغِيبة الَّتي يَحِلُّ لصاحِبها الكلامُ بها».
- الغزالي في «الإحياء» (3/ 152-153) تحت: «بيان الأعذار المرخِّصة في الغِيبة».
- العِزِّ بنِ عبد السلام في «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» (1/ 153).
- وتلميذُه القَرافي في «الفُروق» (4/ 315-310) تحت: «الفرق الثالث والخمسون والمائتان بين قاعدة الغِيبة المُحَرَّمة وقاعدة الغِيبة التي لا تَحرُم».
- والنووي في «رياض الصالحين» (ص 425-426) تحت: «باب مَا يُباح مِن الغِيبة».

وقد نَظمَ هذه الاستثناءات مِن الغِيبة ابنُ أبي شرف رَحِمَهُ ٱللَّهُ[26]، وابن عَلَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «دليل الفالحين» (8/ 362)، والشيخ محمد علي آدم الإثيُوبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفوائد السَّمِيَّة» (ص 49)، فقال:

يَـــا طَالِبًـــا فَائِـــدَةً جَلِيلَـــهْ ... اعْلَـــمْ هَـــدَاكَ اللهُ لِلْفَضِـــيلَهْ
أَنَّ اغْتِيَـــابَ الشَّـــخْص حَيًّـــا أَوْ لَا ... مُحَـــرَّمٌ قَطْعًـــا بِـــنَصٍّ يُتْلَـــىٰ
لكِنَّـــهُ لِغَـــرَضٍ صَـــحِيح ... أُبِـــيحَ عَـــدَّهَا ذَوُو التَّـــرْجِيح
فَـــذَكَروها سِـــتَّةً تَظَلَّـــمِ ... واســـتَفْتِ واســـتَعِنْ لِـــرَدْعِ مُجْـــرِمِ
وعِـــبْ مُجَـــاهِرًا بِفِسْـــقٍ أَوْ بِـــدَعْ ... بِمَـــا بِـــهِ جَـــاهَرَ لَا بِمَـــا امْتَنَـــعْ
وعَـــرِّفَنْ بِلَقَـــبٍ مَـــنْ عُرِفَـــا ... بِـــهِ كَقَوْلِـــكَ رَأَيْـــتُ الأَحْنَفَـــا[27]
وحَـــذِّرَنْ مِـــنْ شَـــرِّ ذِي الشَّـــرِّ إِذَا ... تَخَـــافُ أَنْ يُلْحِـــقَ بِالنَّـــاسِ الأَذَىٰ

ثم ختَمَ الإثيوبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ نظمَه بقوله:

وفِـي سِـوَىٰ هـذَا احْـذَرَنْ لَا تَغْتَـبِ ... تَكُـــنْ مُوَفَّقًـــا لِنَيْـــلِ الأَرَبِ[28]

26- انظر «الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة» (1/ 10).

27- أي: الأَعْرَج.

28- أي: البُغيَة والأُمنية والحاجة.

يقول القرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أمَّا متىٰ كان لأجْلِ عَداوَةٍ أو تَفَكُّهٍ بالأعراض وجَرْيًا مع الهوىٰ فذلك حرام، وإنْ حصَلَت به المصالح عند الحُكَّام والرواة، فإنَّ المعصيةَ قد تجُرُّ للمَصلَحة**، كمَن قَتَل كافرًا يظنُّه مسلِمًا فإنَّه عاصٍ بظنِّه، وإنْ حصَلَت المصلَحةُ بقَتل الكافر، وكذلك مَن يُرِيقُ خمرًا ويظُنُّـه خَلًّا اندَفَعَت المفسَدةُ بفِعله».[29]

29- «الفروق» (4/ 312).

الفَرقُ بين النصيحة والغِيبة

فإنْ قال قائل: **كيف نعرِفُ الفَرْقَ بين ما خرَجَ مِن الكلام علىٰ سبيل النصيحة، وما كان مِن قبيل الغِيبة؟**

والجواب أنَّ هذه المسألة بحثَها الإمام ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: «**فإذا وَقَعَت الغِيبةُ علىٰ وجه النصيحة لله ورسولِه وعبادِه المسلمين، فهي قُرْبَةٌ إلىٰ الله**، مِن جُمْلَة الحَسَنات، **وإذا وَقَعَت علىٰ وجه ذَمِّ أخيك**، وتَمزِيق عِرْضِه، والتفكُّهِ بلَحْمِه، والغَضِّ منه، لتَضَعَ منزِلَتَه مِن قُلوب النَّاس، **فهي الدَّاءُ العُضَالُ**، ونارُ الحَسَنات التي تأكلُها كما تأكُلُ النَّارُ الحَطَب».[30]

ولتلميذِه ابنِ رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة بعنوان: «**الفرق بين النصيحة والتعيير**» فيها نحوُ كلامِ شيخِه، بيَّنَ فيها أيضًا أنَّ ما اتَّفَقَ عليه أهلُ الحديث مِن جَرح بعض الرُّوَّاة ليس مِن الغِيبة المُحرَّمة، ثمَّ نقل (ص 8) الإجماعَ علىٰ أنَّه لا فَرْقَ في هذا الباب بين ما كان مِن قَبِيل الطَّعْن في الرُّوَاة، وما كان تَبيينًا لخطأ مَن أخطأ في فهم معاني الكتاب والسنة.

30- «الروح» (ص 240).

النَّميمة: حالِقَةُ الدِّين، ومُفرِّقةُ المؤمنين

تعريف النَّميمة وأدلَّة تحريمها

النَّميمة: مِن نمَّ يَـنِمُّ ويَنُمُّ، فهو نَمومٌ ونَـمَّـامٌ، والاسم النَّميمة، وهي: نَقْلُ الـحَديثِ بينَ النَّاسِ علىٰ جِهَةِ الإفسادِ والشَّرِّ.[31]

قال عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في: «يقال: نمَيْتُ الـحَديثَ مُـخَفَّفًا إذا رفعتَهُ علىٰ جهة الإصلاح، فإذا كان علىٰ جِهَةِ الإفساد قلتَ: نمَّـيتُه بالتشديد».[32]

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يدخُلُ الـجنَّـةَ قَتَّاتٌ**». رواه البخاري (6056)، ومسلم (105).

والقتَّات: مِن قَتَّ يَقُتُّ قَتًّا، أي: نَمَّ، والقتَّات هو النمَّام، ولهذا جاء في رواية عند مسلم: «**لا يَدْخُلُ الـجنَّـةَ نَمَّامٌ**».

وفي «صحيح مسلم» أيضًا (2606) أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ألَا أُنَـبِّئُكُمْ ما العَضْهُ؟ هي النَّمِيمَةُ القالَـةُ بين النَّاس**». فهي:

- إمَّا العَضْهُ، وهو: القَطْعُ.
- أو العِضَةُ، وهي: التَّفرِقَةُ، وجَمعُها: عِضينَ، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿جَعَـلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾[الحجر: ٩١]، أي: فرَّقوهُ، فآمنوا ببعض وكفَرُوا ببعض.

فالنَّمِيمة تَقطَعُ الصِّلةَ (مِن العَضْه)، وتُفَرِّق بين النَّاس (مِن العِضَة).

وقيل: «النَّمِيمَة لا تَقْرَبُ مَوَدَّةً إلا أَفْسَدَتها، ولا عَداوَةً إلا جَدَّدَتها، ولا جَماعَةً إلا بَدَّدَتها».[33]

ومِن وصايا بعض السلف لابنه: «يا بُنَيَّ إيَّاكَ والنَّمِيمَةَ؛ فإنَّها تَزْرَعُ الشَّحْناءَ في قُلُوبِ الرِّجَال».[34]

31- انظر «النهاية» (5/ 120)، و«القاموس» (ص 1164).

32- «مشارق الأنوار» (2/ 171).

33- انظر «الـمستطرَف في كلِّ فنٍّ مستطرف» (ص 97)، و«روضة العقلاء» (ص 177).

34- انظر «الـحلية» (3/ 195).

قال القحطاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نونيته» (ص 24):

لا تَسْـــعَ بـــينَ العـــالَمِينَ نَميمَـــةً فلأجلِهـــا يَتَبـــاغَضُ الخِـــلَّانُ

والنَّميمة مِن كبائر الذنوب، فعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في الرَّجُلَين الَّذين يُعَذَّبانِ في قَبرَيهما: «**وأمَّا الآخَرُ فكان يَمْشِي بالنَّمِيمَة**»، فعُذِّب في قَبرِه لأَجْلِ إفسادِه بين الناس.[35]

قال يـحيَىٰ بنُ أبي كَثِير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُفسِدُ النَّمامُ والكَذَّابُ في ساعةٍ ما لا يُفسِدُ السَّاحِرُ في سَنةٍ».[36]

وقال أبو عبد الله الأنطاكيُّ: «**الغِيبَـةُ والنَّمِيمَةُ قَرِينتان، ومَـخرَجُهُما مِن طريقِ البَغْي، والنَّـمَّامُ قاتِلٌ**، والـمُغتابُ آكِلُ الـمَيتَة، والباغِي مُستكبِرٌ، ثَلَاثَتُهُمْ: واحِدٌ، ووَاحِدُهُمْ: ثَلَاثَةٌ».[37]

يقول ابنُ عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتحريشُ بين البَهائِم: مَكروه، **والتحريشُ بين الآدَمِيِّين حُوبٌ كبير، وأبغضُ الـخَلقِ إلىٰ الله وأبعدُهم مِن رسول** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الـمشَّاؤُون بالنَّمِيمة، الـمُفَرِّقُون بين الأحِبَّة، الـمُلتَمِسُون لأهل البِرِّ العَثَرات!**».[38]

وصدَق ابنُ حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال: «وما في جميع النَّاس شَرٌّ مِن الوُشَاة، وهُم النَّمَّـامون، **وإنَّ النَّمِيمة لطَبْعٌ يدُلُّ علىٰ نَتَنِ الأصل، ورَداءَةِ الفَرْع، وفساد الطَّبْع، وخُبْث النَّشأة**، ولا بُدَّ لصاحبه مِن الكذب؛ والنَّمِيمةُ فَرْعٌ مِن فُرُوع الكذب ونوعٌ مِن أنواعه، **وكُلُّ نَمَّـام كذاب**، وما أحبَبْتُ كذَّابًا قطُّ».[39]

35- رواه البخاري (6052) ومسلم (292).

36- انظر «بهجة المجالس وأُنسُ المُجالِس» (1/ 403).

37- «حلية الأولياء» (9/ 291).

38- «الكافي في فقه أهل المدينة» (2/ 1143).

39- «طوق الحمامة» (ص 173).

أوَّلُ مَن ينقَمُ على النمَّام: صاحبُه الذي نقلَها إليه

اعلَم أنَّ النمَّامَ ممقوتٌ، وأوَّلُ مَن يمقُته -أي: يبغضُه- صاحبُه الذي نقلَها إليه، وقد قالوا: «**مَن سَعىٰ بالنَّمِيمَة حَذَرُه القَريب، ومَقَتَه الغَرِيب**».[40]

يقول الباجي مُوصِيًا ولدَيه: «**وإيَّاكُما والنَّمِيمَةَ، فإنَّ أوَّلَ مَن يَمقُت عليها مَن تُنقَل إليه**».[41]

وأنشَدَ بعضُهم:[42]

مَـن نَـمَّ في النـاسِ لَـم تُـؤْمَنْ عَقَارِبُـهُ ... علـىٰ الصَّـديقِ ولـم تُـؤْمَنْ أفاعِيـهِ

كالسَّـيلِ باللَّيـلِ لا يَـدرِي بـهِ أَحَـدٌ ... مِـن أيـنَ جـاءَ ولا مِـن أيـنَ يَأتِيـهِ

الوَيـلُ للعَهـدِ منـهُ كيـفَ يَنقُضُـهُ ... والوَيـلُ للـوِدِّ منـهُ كيـفَ يُفْنِيـهِ

يقول ابنُ حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أوَّلُ مَن يَزهَد في الغادِرِ مَن غَدَر له الغادِرُ، وأوَّلُ مَن يَمْقُتُ شاهِدَ الزُّور مَن شَهِد له به، وأوَّلُ مَن تهُون الزَّانِيَة في عَيْنِه الذي يَزْنِي بها**».[43]

ولهذا يجب علىٰ مَن نُقِلَت إليه النَّمِيمة ألَّا يُبادِر في تصديقها، فضلًا عن العمَل بمُوجبها، بل عليه أنْ يُكَذِّبَ ناقِلَها، وأنْ يُحسِن الظنَّ بإخوانه، سيَّما مَن عُرِفَ منهم بـحُسنِ السِّيرَة، ونقاءِ السَّرِيرَة، وتأمَّل كيف ذَمَّ اللهُ سبحانه مَن أصغَىٰ للنَّمِيمة في حادثة الإفك، في قوله: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾[النور: ١٥ - ١٦]، وفي نفس الوقت أشادَ سبحانه بصَنيع بعضِ المؤمنين، فقال: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾[النور: ١٢]، والمعنىٰ أنَّه كان ينبغي للمؤمنين والمؤمنات أن يَقِيسُوا ذلك الأمرَ علىٰ أنفُسِهم، فإنْ كان ذلك يَبْعُد في حقِّهم، فهو في حَقِّ

40- «المستطرَف» (ص 34).

41- «الوصية الولدية» (ص 22).

42- انظر «روضة العقلاء» (ص 177).

43- «الأخلاق والسير» (ص 28).

عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أبعدُ لفَضْلِها.[44]

ومِن آثار النَّمِيمة واتِّهام الناس بالباطل: ما وقع في حادثة الإفك مِن انقطاع الوحي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُدَّةً طويلة، وفي ذلك حِكَمٌ عظيمة، ليس هذا موضع بسطِها.

رُوي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا سَعَىٰ إليه برَجُلٍ فقال له: «**يا هذا، نحن نسأل عمَّا قلتَ، فإن كنت صادقًا مَقَتْناك، وإن كنت كاذبًا عاقبناك، وإنْ شئتَ أنْ نُقِيلَك أقَلْناك**»، فقال: «أقِلْنِي يا أميرَ المؤمنين».[45]

وروىٰ أبو نعيم في «الحلية» (9/ 122) أنَّ الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «قَبُول السِّعاية أضَرُّ مِن السِّعاية، لأنَّ السِّعاية دِلالة، والقَبول إجازَة، وليس مَن دَلَّ علىٰ شيءٍ كمَن قَبِلَ وأجاز. **والسَّاعِي مَـمقُوتٌ إذا كان صادقًا لـهَتكه العَورة، وإضاعته الحُرْمَة، ومُعاقَبٌ إنْ كان كاذبًا، لـمُبارَزَته اللهَ بقَول البُهْتان، وشهادة الزُّور**».

والسِّعايةُ: هي النَّمِيمة إلَّا أنَّها إذا كانت إلىٰ مَن يُخافُ جانِبُه سُمِّيَت سِعايةً.

قال بعضُ الحكماء: «حَسْبُكَ مِن شرٍّ سَماعُه»، والله يقول: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾[المائدة: ٤٢].[46]

دخل رجلٌ علىٰ عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ فذَكَر له عن رجل شيئًا، فقال له عمر: «إن شئتَ نظَرْنا في أمرك، فإنْ كنتَ كاذبًا، فأنتَ مِن أهل هذه الآية: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[الحجرات:٦]، وإن كنتَ صادقًا، فأنتَ مِن أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾[القلم:١١]، وإنْ شئتَ عَفَونا عنك». فقال: العفوُ يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبدًا.[47]

44- انظر «التسهيل» لابن جُزَي الغرناطي (2/ 63).

45- انظر «إحياء علوم الدين» (3/ 157).

46- «بهجة المجالس» (1/ 402).

47- انظر «إحياء علوم الدين» (3/ 156).